سر الكلب الذي اختفى

تأليف: هدى عيد

رسوم: ماهر عبد القادر

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - لبنان

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا - جزين
07 230195 - 00961 7 230841
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2020 م - 1441 هـ

Copyright© all rights reserved
حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت ألكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدمًا.

E. Mail: alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

"القراءةُ تصنعُ إنسانًا كاملًا،
والمُشُورةُ تصنعُ إنسانًا مستعدًّا،
والكتابةُ تصنع إنسانًا دقيقًا".

فرانسيس بيكون (فيلسوف إنجليزي)

المقدّمة

من منكم لديهِ رُوحُ المغامرة؟

ما رأيكم في تسليةٍ من نوعٍ خاصّ؟

أمتعُ ما في الحياةِ مغامراتُها الحقيقيّةُ لا الوهميّة.

إبراهيم، بطلُ هذه القصّة، خاضَ مغامرةً مثيرةً أسعدته.

هَلُّموا معي، أصدقائي الصِّغار، نكتشفْ وبطلَنا الفَتِيَّ أحداثَ نزهته، لنقفَ على حقيقةِ السِّرِّ الذي فاجَأهُ وأمتَعَهُ؟

هدى عيد

يعترفُ الآنَ أنَّ أكثرَ ما أتقنَهُ معَ الأيّامِ هو فعلُ التّسـرُّبِ والهُروبِ؛ التّسـرّبِ من بين أيدي والدَيهِ القابضةِ بقوّةٍ فائقةٍ عليه، والهروبِ من معاينتِهما لتفاصيلِ حياتِه الصّغيرةِ منها والكبيرة.

تسرّبَ بدايةً من يدَي أمِّه ليلى الَّتي كانت تعتقدُ أنّها تحفظُه، عن ظهرِ قلب، وتحفَظُ حركاتِه وسـكناتِه وبسماتِه، وعددَ شعراتِ رأسِه، بل إنّها تستطيعُ، كما تؤكِّدُ له دومًا، أن تحصـيَ عليه أنفاسَه وعباراتِه التي قالها وتلك التي لم يقلْها بعدُ، ولو تمكّنتْ من الوصولِ إلى أحلامِه لسكنتْها لشدةِ حرصِها عليه !

وتملّصَ كذلك، من قبضَـتَيْ أبيـهِ الَّذي، أرادَه رجلًا، قبـل أوانِه، يجيدُ في الحيـاة الإتيانَ بعلامـاتِ الامتياز، وبشـهاداتِ التَنويهِ والتّفـوّق، لا يخافُ من شيءٍ، ولا يتردّدُ أمامَ شيء، يفعلُ ما يريدُ، ولا يعبأُ بمشاعرِ أحدٍ من العالَمين!

في مرحلةِ طفولتِه كانَ شـديدَ الالتصـاقِ بوالدَيْه، فَهُما يُشرفانِ بشكلٍ كلِّيٍّ على شـؤونِه الصّـغيرةِ والكبيرة، ويلاحقانِ تفاصيلَ حياتِه مهما بدت تافهةً أو بسيطةً أو عاديَّة.

وقد كان يسـتقبلُ ذلك التدخُّلَ برحابةِ صدرٍ وباسـتخفافٍ أحيانًا، وببرودةٍ أحيانًا أخرى، لكنَّهُ عندما بدأ يكبرُ، وراحَ يلاحظُ التغيُّراتِ الكثيرةَ التي لحِقَتْ بجسـدِه، والتي ظهرتْ أولى آثارِها، على ذقنِه وعلى أوتارِ صـوتِه، صارَ ينزعجُ من اقترابِهما من خصوصيّاتِه إلى تلك الدَّرجة.

فُتُوَّتُه المستجدّةُ وضعتْ مسافةً حقيقيَّةً بينَه وبين أبوَيْه.

أولُ تغيّـرٍ مسـلكيٍّ التـزمَ به، في المرحلـةِ الجديدة، تمثّلَ فـي إغلاقِه بابَ غرفتِه الخاصَّـة عليه؛ ذلك الباب الذي كانت أمُّه حريصـةً حرصًـا بالغًا على فتحه أمام عينيها دائمًا. فهي مُذ وضـعتْ له سريرًا وخزانة جديدينِ في غرفةٍ ملاصـقةٍ لغرفتِها، أصـرّت على إبقـاءِ تلك الغرفةِ مشـرّعةَ البـابِ والنّافذةِ والكُوّةِ[1] الصّغيرة الواقعة على الجدارِ الشّمالي لها.

1. الكوّة: الخَرْق أو الفتحة الصغيرة في الجدار يدخل منها الضوء والهواء.

استغربت أمُّه أمرَ إغلاقِه بابَ غرفتِه في البداية، وسألتهُ إن كان مريضًا أو أنه يشكو من شيءٍ ما، فنَفَى الاحتمالَيْنِ بشدّةٍ، مُكتفيًا بالتّحديقِ بإصرارٍ في عينيها.

أرادَ أن تفهمَ أمُّه أنّ فعلَه هذا مقصودٌ، ولم يتمَّ بالصّدفة بالمَرّة. كرّرَ، بعد ذلك، إقفالَ بابِ الغرفةِ عليه بالمفتاح من الدَّاخل، فحاولتِ الوالدة المُحِبَّةُ الاعتراضَ في إحدى المرّات، لكنه ألزمَها بلطفٍ أن تفسحَ المكانَ بينهما، وكان عليها أن تحترمَ موقفَه، وأن تبتعدَ قليلًا.

في كلّ مرّةٍ شعرَ إبراهيمُ بوالدَيْهِ يحاولانِ الإطباقَ عليه، كان ينسلُّ بخفّةٍ إلى مَخبئِهِ الوادعِ الأنيس، لينعمَ بشيءٍ من خصوصيَّةٍ فيه، وليحلمَ هناك بعينيّ زميلتِه نيفين الجميلتَينِ السّاحرَتَين.

يجلسُ إبراهيمُ في الحديقة الخلفيَّةِ لمنزلِه، يتسلّى بمَرْأى[1] العصافير تتواثبُ في المكان. يتسلّقُ في غفلةٍ من والديه شجرةً علَت قامتُها هناك، عندَ حافةِ السّور، فيستقرُّ على الأغصانِ المتشابكة الطَّريئة.

يقضي وقتًا يقلّدُ تلك المخلوقاتِ الصّغيرةَ في انتقالها، وفي تلفُّتِها وفي زقزقاتِها، فيشعر أنَّها تألفُه[2]، إذ يجلسُ مثلَها بين أحضان الشَّجر.

في البداية، حينَ كانَ يفعلُ ذلك، كانت تفرُّ مذعورةً[3] منه. تتطايرُ المخلوقاتُ الرّشيقة جماعاتٍ مصفّقةً بأجنحتِها الرّهيفة[4]، استغرقت وقتًا حتى أنِسَته، وهو يصلُ بهدوء إلى الأغصان، يتموضعُ[5] بأناةٍ، ويروح ينظرُ إليها بوُدّ كأنّه يطلب صداقتها.

---

1. مرأى: منظر
2. تألفه : تأنس به
3. مذعورة: خائفة كثيرًا
4. الرّهيفة: الرّشيقة
5. يتموضع: يتخذُ له موضعًا أي محلا

في مرّات كان يُفردُ أصابعَه الصّغيرة، أمامَها، لتبرزَ من بينها حبّاتُ أرزٍّ أو عدسٍ أو بُرغلٍ يستلُّها[1] من واحدةٍ من عُلب المَؤُونَةِ التي ترصُّها أمّه، على رُفوف[2] المطبخ العديدة، أو هو قد يفتح أصابعه فتبدو قطعُ خبزٍ صغيرة كَوّرها في قبضته، وخَصّها وحدَها بها.

ينظرُ إلى تلك المخلوقاتِ اللّطيفة، ثمّ يضع الفُتات[3] على مسافةٍ قريبة منها.

يبقى هو ساكنًا، يجلسُ ليراقبَها باستمتاعٍ، كيف تَحارُ نظراتُها، تنقلُها بينَ الحبّات أو بين الفُتات وبينه. تقتربُ بِحَذَر، ترفعُ رؤوسَها الصّغيرةَ ثمّ تميلُ بها، تكرُجُ بسيقانِها الدّقيقة، تخطفُ حبةً أو كِسرةَ خبزٍ ثمَّ تعدو، تقفز في ما يشبهُ الفرحَ، تزدردُ[4] صيدَها، ثمَّ تعاودُ الكرّة.

أيّ متعةٍ قبضَ عليها زمنًا، والألحانُ تعلو من حناجرها؟

بينَ تلك الأغصانِ بنى إبراهيمُ هدأتَهُ، وأعدَّ مُستَراحه من الملاحقات المتتاليةِ التي يتعرّض لها طَوالَ الوقت، من قِبل والدَيه. والداهُ اللّذان لا يجدان تسليةً لهما في الحياة سواه، ما دام هو الولدُ الوحيدُ الذي منَّ اللهُ سبحانَهُ عليهما به، فتمسّكا به كما يمسكُ البخيل قطعةً ذهبيّةً وجدَها في صندوق قديم.

1. يستلّها : يسحبها بخفّة
2. رفوف : جمع رفّ وهو اللّوح الخشبيّ
3. الفُتات: البقايا
4. تزدردُ: تبتلع

لم يمضِ على جلوسه ربع ساعة تقريبًا، حتى علا صوت أمّه ليلى:

إبراهيم، إبراهيم...إبراهيييي ...م

تمسّك بصمته، لن يجيبَ أحدًا مهما كثُرَ النّداءُ، من حقّه أن يرتاح قليلًا.

راقبَ أمَّه، وهي تتلفَّتُ يمنةً ويَسرة.

أبصرَ أباهُ يخرجُ ويقفُ بمحاذاتها.

تحادَثا قليلًا.

ظهرَتِ الأمُّ قلقةً تُكثرُ من الالتفات، لكنّ أباهُ أمسكَ ذراعَها بلطفٍ، وتكلّم معَها قليلًا، ثمّ أشارَ إلى بعض المقاعد الخشبيّة الموضوعةِ خارجًا.

أدارت الأمّ رأسَها بقلق، ثمّ شبكتْ ذراعَيها حولَ صدرها، بدتْ لوحيدِها مرتبكة.

دخل والدُه إلى المنزلِ، سمعَ جَلبَة [1] وصلت إليه أصداؤُها. بعد لحظاتٍ رآه يخرجُ مُسرعًا، لوّحَ بيدِه مشيرًا إلى أمّه، وهو يدلفُ [2] إلى سيارتِه.

علا صوتُ محرّكِ السّيارة بقوةٍ، دقائق معدودة انطلقت بعدَها مثيرةً خلفها بعضَ الغبار.

سُرَّ إبراهيم من سلوك والده، فهو أكثرُ تَبسُّطًا معه، من والدته، في موضوعِ تحصيل الدّروس.

جلست أمّه على أحد المقاعد الخشبية مُدّةً وجيزةً، كانت تنقّل نظراتِها بهدوءٍ في أرجاءِ الحديقة، بعد حوالي عشر دقائق انتصبت واقفةً، ألقَت نظرةً أخيرة على ما حولها، ثمّ دخلت إلى المنزل بصمت.

أحسّ إبراهيم بسعادةٍ تشبهُ سعادةَ الانتصار، فهو سينعمُ بإقامته الآنَ، في الخارج، لأن أمَّه لن تغادرَ المنزل قبل عودة أبيه. هو يعرفُ عاداتِها جيّدًا، إذ تلزمُ منزلها عادةً حتى يعودَ رجُلُها إليه.

---

1. جلَبَة: ضجّة
2. يدلفُ: يدخل ببطء

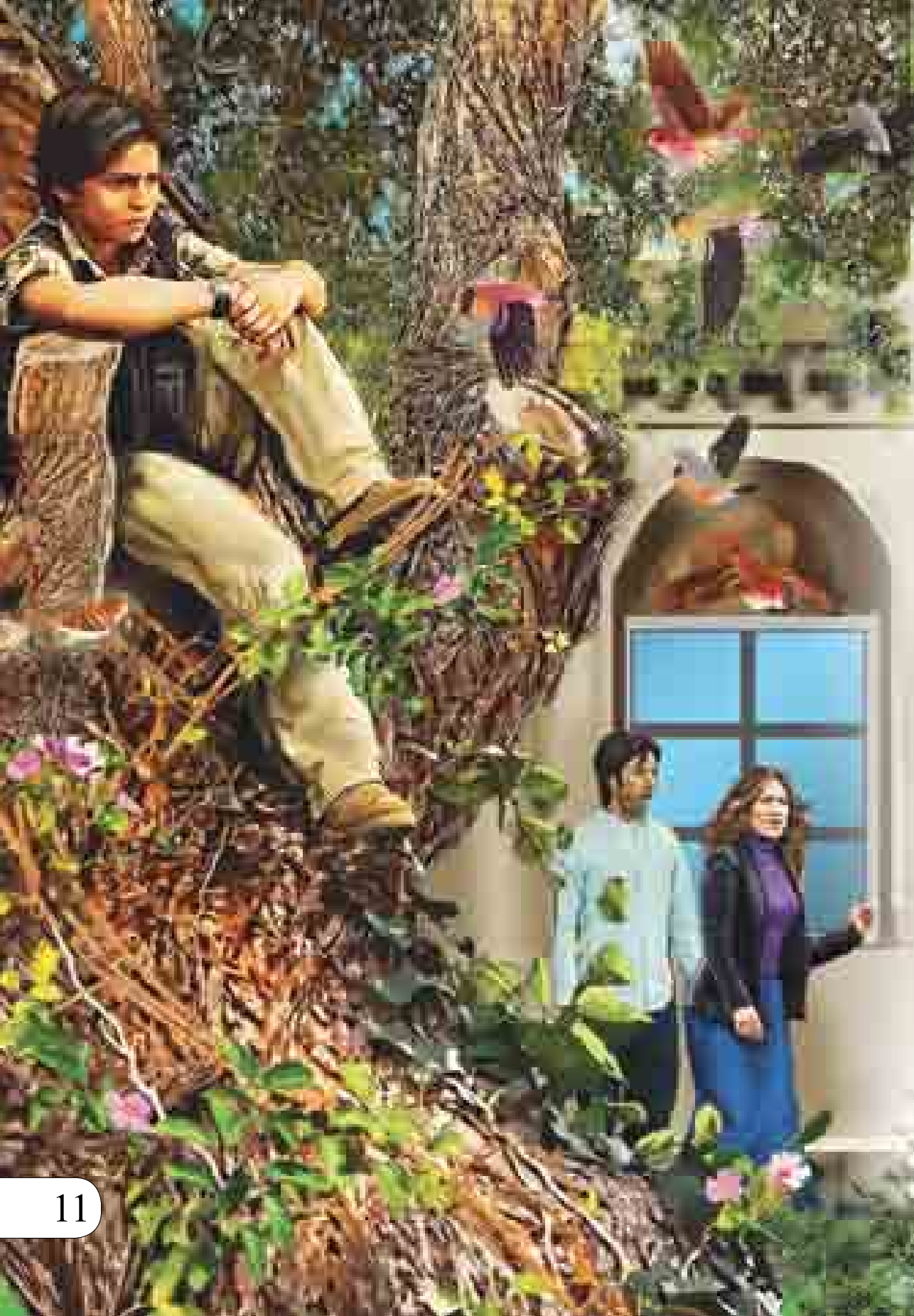

بعد وقتٍ قصير، لمحَ صديقَه غَدِي يقتربُ من حديقة الدّار.

عندما فَطِن[1] أنه سيتّجه مباشرةً إلى باب منزلهم الخشبيِّ ليطرقَه، بهدفِ السؤالِ عنه طبعًا، أطلقَ باتّجاهه صفيرًا خافتًا ممطوطًا.

توقّف غَدي قليلًا.

لا بدّ أنه سمعَه.

خاطبَ إبراهيمُ نفسَه.

أعادَ الكرَّة، فارتدَّ غدي. تراجعَ بشكلٍ تدريجيٍّ، ثمّ راحَ يتقدّم إلى داخلِ الحديقة. أطلقَ إبراهيمُ صوتًا آخرَ أكثرَ وُضوحًا، فإذا بالزائر يسير باتّجاهِ الشّجرة العالية.

كان رأسُ غدي قد توجّه إلى الأعلى تمامًا، وراح يدورُ باحثًا بعينيه عن مصدر الصوت.

لم يتمالكْ إبراهيمُ نفسَه، كَرْكرتْ ضحكتُه المَرِحة التي يُعرف بها بين رفاقه.

بمجرد أن لمحَه غدي عضَّ على شفته السّفلى غضبًا، وأشار بيده اليُمنى:

طيّب أنت هنا، وأنا أبحثُ عنك، ممَ تختبئُ الآن، سأنادي أمّكَ جزاءَ تَخفّيكَ هذا، "تنت" ليلى، "تنت" ليلى...

كان قد خفضَ صوتَه قليلًا، فانزلقَ إبراهيم بسرعة، وهو يشيرُ بيدِه إلى فمِه مُغضبًا:

ما هذا؟ستفضحنا، ما بِكَ ؟ تعالَ بسرعةٍ قبل أن تلمحنا أمّي، ستغضب كثيرًا، لقد نادتني مرّات، ولم أُجبْها.

ولمَ لا تجيب أمّكَ أيّها العبقريّ العظيم، هذا أمرٌ مُعيب ألاّ[2] تلبيَ نداء وَالديكَ؟

لا تتفلسفْ غدي أرجوك، ما زال الوقت مُبكرًا على الدّرس، في النّهار مُتسعٌ بعدُ، وأنا أريدُ أن ألهوَ قليلًا، هيّا اصعد إلى هنا. تعالَ، سأريك شيئًا جميلًا.

---

1. فطنَ: تنبّهَ
2. ألاّ: أن الناصبة + حرف النّفي لا.

تردّد غدي وقتًا، لكنّه عاد وتسلّق الجذع الثّخين بصعوبة.

كان إبراهيم طوال الوقت يُرشدُه:

ضع قَدمَك هنا، لا لم أقصدْ هذه النّاحية، انتبهْ غدي هنا ما يُشبه الحُفرة، نعم، نعم ، تقدّم الآنَ، لا تخف، لمَ تبدو متوتّرًا هكذا؟ هيّا تشجّع ، تكادُ تصل، هاتِ يدَك ، عافَاكَ أنت بطلي.

قال كلمتَه الأخيرةَ، ثم أطلقَ ضحكته مجددًا.

كان غدي يحاولُ التقاطَ أنفاسِه بصعوبة بالغة[1].

يعترفُ غدي، في دخيلته[2]، أنّ إبراهيم أكثرُ رشاقةً منه، وهو يسبقه دائمًا عندما يعدُوان[3]، أو عندما يقرّران تسلّقَ بعضِ الأشجار الكثيفة المتوزّعة عند سفحِ التّلة، حيثُ يقوم منزل صديقه الحميم هذا.

أفسح إبراهيمُ مكانًا بسيطًا لغدي، وقال له مُشيرًا بسبّابته إلى أسفل:

ها هو قد خرج ، انظرْ، صار العجوزُ أمامَ الباب الخشبيِّ تمامًا.

لمَ هو متجهّم[4] هكذا؟

من قال لك إنه متجهّم؟ أنت تتخيّل كعادتك.

ربّما.

أجاب غدي، وهو يهزّ رأسه ممتعضًا[5] من تعقيبِ صديقه.

من مجلسِه السّريّ، اعتادَ إبراهيمُ أن يراقبَ منزلَ جارهم العجوز أبي معروف.

رجلٌ سبعينيٌّ، امرأتُه أفتَى[6] منه وأسرع حركةً. لهما ابنتان فقط ، قد تزوّجتا وأقامتا في بلدتين مجاورتين كما تُخبرُ أمُّه بذلك.

يشعرُ الفتى بمقدار الحُبّ الذي يُكنّه[7] الرجلُ لأرضه، فهو يقضي معظم أوقاته فيها.

---

1. بالغة: كبيرة
2. دخيلته: أعماق ذاته
3. يعدوان: يركضان
4. متجهم: عابس الوجه
5. ممتعضًا: منزعجًا
6. أفتى: أكثر فتوة وشبابًا
7. يكنّه: يضمره ويخفيه

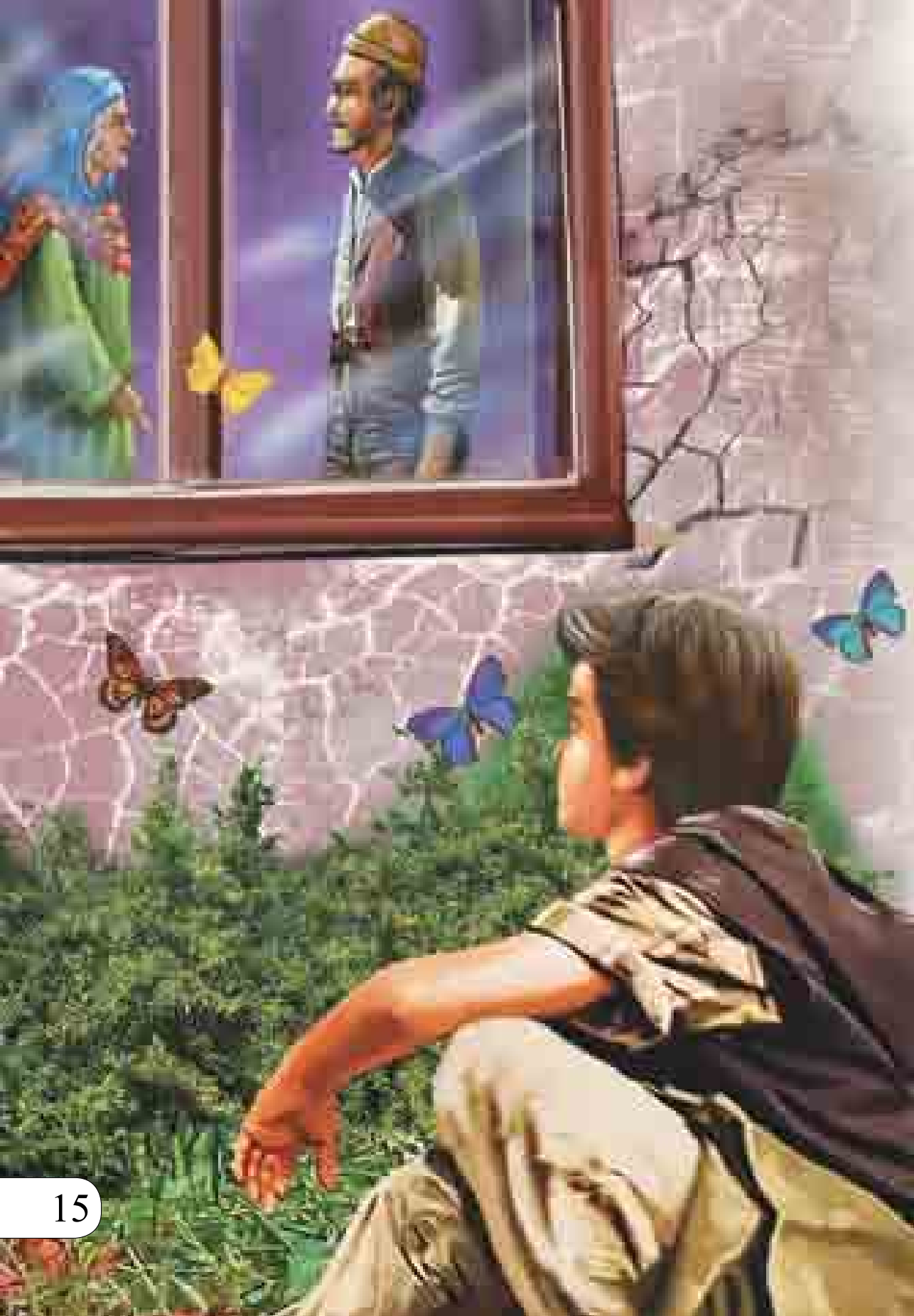

عندما ينطلقُ هو صباحًا، إلى المدرسة، يلمحُه يعملُ هناك، وحين ينسلُّ[1] بعد الظهر إلى حديقتِه المحبَّبة، يجده مُنكبًّا[2] على التّنقيب في ترابها. يزرع فيها خُضَرَهُ، ويراقبها كلّ يوم، وهي تنمو.

يلاحظُه، وهو يحادثُها، كأنّها مخلوقاتٌ عاقلة، يفعلُ ذلك من حينٍ إلى حين، فيتسلّى هو بالمشهدِ، وتتولّد الفرحةُ في قلبه.

أحيانًا يعنّ على باله أن يتسلّلَ بعدَ الغُروب، عبرَ الجدارِ المُتداعي[3]، من إحدى الجهات، ليقطفَ من أرضِه حبّةَ بندورةٍ حمراءَ جذّابة، أو خيارةً طازجةً شهيّة الرّائحة، ثمّ يعود بسرعةٍ ضاحكًا سعيدًا بصيدِه وبنجاته من نباح كلب العجوز الذي لم يفلحْ في رؤيته أو في التّعرّضِ له.

فعلى رغم أنّ كلبَ العجوز مازال جروًا صغيرًا لطيفَ العينين، إلاّ أنّه كلبٌ أحمقُ شديدُ النّباح، لا يكادُ يلمحُ طيفَ أحدٍ ما يقتربُ من سُور المنزل، حتّى يعلوَ صوتُه محتلًّا الحيَّ بأسره، ومُفسدًا نِعمةَ الهدوء الّتي يتمتّعُ بها ساكنوه.

يستمتعُ، وهو يصغي، إلى الشّجارِ[4] الذي يدورُ أحيانًا بين العجوز وزوجته، عندما يرغبُ بالدّخول، إلى المنزل، بعدَ الانتهاءِ من أعمال التّشذيب[5] والزّرع والرّي.

تقول له زوجته:

ستلطّخُ، بالوَحل، كلّ المكان يا أبا معروف.

لن أفعلَ يا امرأة، ما بك تفتَرين[6] عليَّ؟

حذاؤكَ مُوحِلٌ، وثيابك ملوّثةٌ بالتّراب.

كلّنا من تراب، التّراب ليس قذرًا، توقّفي عن هذا الهَوَس المجنون بالنّظافة.

شجارٌ ناعم وَدُود سُرعان ما يهدأ. الرّجلُ يحبّ امرأتَه كما يبدو له. فقد صارَ، بعد فترةٍ، يخلعُ حذاءه على الدّرج الحَجريّ البسيط، ويقوم بتنظيفِه بنفسِه كيلا يزعجَ زوجتَه.

---

1. ينسلّ: يتسلل أو يصلُ خفية
2. منكبًّا: منصرفاً
3. المتداعي: المتهالك
4. الشّجار: الاختلاف والتّنازع
5. التّشذيب: قطع أغصان الأشجار والمزروعات وتسويتها ونزع اليابس منها
6. تفترين: تدعين أمرًا غير صحيح

بل إنّه بات، بعد مدّة، يخلعُ كلَّ ملابسِه خارجًا، قميصه والبنطال ، وأحيانًا الفانيلة القطنيّة الدّاخلية التي تظهرُ صفراءَ كابيةً[1] جرّاء تَعرّقِه الدائم.

يـروحُ إبراهيمُ يتملّى[2] مشـهدَ جسـدِ العجـوزِ النّحيل، وقد لبسَ سـروالًا قطنيًّـا قصـيرًا انبثقت منه سـاقانِ هزيلتانِ مقوّسـتان، فلا يتمكّـنُ من كبحِ ضَحكهِ طويلًا ، وهو يُراقبه.

أمضى الصـديقان وقتًا يتأمّلان الرّجلَ، وهو يقومُ ببعضِ الأعمال المُعتادة التي يمارسُـها على الدّوام، لكنّه كان يتوقفُ بين الحين والآخر، ليلقيَ نظراتٍ قلقةً بعيدة. أحيانًا كان يضعُ راحةَ يدِه الكبيرةَ على جبينه، يتفحّصُ كلّ الأنحاء حولَه، ثمّ ينظرُ إلى البعيد.

هناك ما يشغلُ بالَ الرّجل، يبدو لي أنه غيرُ مرتاح فعلًا ، معكَ حقّ يا غدي.

هذا أمرٌ مؤكَّد، أنا أفهمُ الناسَ أكثرَ منك، أنتَ ما تزالُ طفلًا أحمق يا صديقي.

قال غدي ذلك الكلام متبجّحًا[3].

كوَّرَ إبراهيم قبضتَه، ثم أرسلها باتّجاه كتفِ غدي مرّاتٍ متواليةً آلمته حقًّا.

صرخَ غدي متأوّهًا غاضبًا، وهو يصيحُ :

- آخ، يا لكَ من مجنون، ماذا جرى لك، هل جُننت؟!

ثمّ حـاولَ ردّ اللّكماتِ، فعاجلَه إبراهيمُ بضـربات جديدة، وهو يتضـاحكُ، فعلا صياحُهما وضحكهما، ولم يتنبّها للعجوزِ المُقترب منهما، وقد ظهرتْ آثار الغضب على وجهه.

- وأخيـرًا وجدتكمـا، أنتما اللّصـان اللّذان يغزوانِ حديقتـي دَوْمًا. اهبطا سـريعًا وقِفا أمامي على الأرض، هيّا أسـرعا وقولا لي بسرعةٍ أين خبّأتُما كلبيَ المسـكين، ها، أين؟ أخبراني، هيّا تكلّما بسـرعة، وإلاّ ضـربتكما بهذه العَصا الطويلة، هل ترَيانِها هناك؟

---

1. كابية: فقد لونها صفاءه ونقاءه
2. يتملّى: يتأمل بدقة
3. متبجّحاً : متباهياً

كانت المرّة الأولى التي يشعرُ فيها إبراهيم بهذا النَّوع من الخوف.

فقد أحسّ بالغضب العارم ينبعثُ، من عيني الرّجل العجوز. صحيحٌ أنّه كان يستلطفه، وهو يراقبه من بعيد، لكنه الآن، والرّجل يطلق نحوهما نظراتٍ ناريةً، داخَلَهُ[1] خوفٌ حقيقيّ منه ، ووجدَه فجأة إنسانًا قاسيًا بدرجة لا توصف.

كان الفتَيان يتبادلانِ النّظراتِ المرتبكةَ، حينَ تحرّكَ العجوزُ باتّجاه عصا غليظةٍ بدتْ مُلقاة[2]، عند طرف الحقل على مسافة من الجميع.

بمجرّد أن أدار ظهره، لَكَز إبراهيم صديقه بحدّة، قائلًا بصوت مكتوم:

- هيّا بنا، انزل خلفي بسرعة.

- ولكن...

لم يُمهلْ إبراهيمُ غدي حتى يتكلّم، انزلقَ بخفّة قِرد إفريقيٍّ على جِذع الشجرةِ، ثمّ وقف عند أسفلها يستحثّه[3]، وعندما لمح تردّده، قال بغضب وتعجّل:

- إذا لم تنزلِ الآن، سأتركَكَ له، وليضربَك بعصاهُ كما يشاء، لن أدافعَ عنكَ أبدًا.

أجفل[4] غدي، فوضع ساقَه اليُمنى بحذرٍ شديد، وعندما حاول زحزحةَ مؤخرتِه انزلقت قدمُه، وإذا به يتدحرجُ من أعلى إلى أسفل، وقد هَالته[5] المفاجأة.

تنبّهَ الرّجل العجوزُ إلى صوت الارتطام، فالتفّ يريد العودة إليهما، لكنَّ إبراهيمَ سحبَ غدي من ذراعه، ودفعَه أمامَه باتّجاهِ التلّة الكثيفة الخضرة.

تعثّر غدي قليلًا، لكنّما إبراهيم ساعدَه أكثرَ من مرة. تعجّلا الخطوَ، ثمّ أطلقا ساقيهما للرّيح.

ظلاّ يركضان وقتًا، إلى أن استوقَفه غدي صارخًا منزعجًا:

- كفى إبراهيم، توقّفْ أرجوكَ، فصدري يكادُ يتمزّقُ من شدّة التّعب.

---

1. داخله: أحسَّ في داخله
2. ملقاة: مرمية بإهمال
3. يستحثه: يطلب منه بإلحاح
4. أجفل: اضطرب
5. هالته: أفزعته

- وجهك شاحبٌ كالموتى، أؤكدُ لك أنّكَ ستموتُ اليومَ لا مَحالةَ.

قال عبارَته ، ثم انطلق يضحكُ بمرحٍ حقيقي.

كانا قد دخلا منطقةَ الأشـجارِ الكثيفة، واطمأنّا إلى كَونهما قد ابتعدا فعلًا عن أرض العجوز.

- تعالَ أيّها الجبان، سأريك اليوم مشهدًا لم تره قبل اليوم أبدًا.

قال ذلك، ثمّ انطلق بمرحٍ ونشاطٍ جَمّ[1]. كانت الدّرب التي سلكاها متعرّجة، تضيقُ كلّما ازداد ارتفاعُ المكان.

تقدّم إبراهيم صـديقَه، إذ لـم تكنِ المرّة الأولى الّتي يـزورُ فيها النّاحيةَ، فلطالما اصطحبَهُ أبوهُ إليها، وهما يُمارسان هِواية الصّيد.

والـد إبراهيمَ صـيّادٌ ماهرٌ، يقصـد الأماكن القصـيّة[2]، ويحبّ اكتشـافَ المناطقِ المنعزلةِ نسبيًّا.

حاول أبوه أن يعلّمَه الصَّيد غيرَ مرّة، واشترى له بندقيّةَ صيد حقيقيّة أهداهُ إيّاها عندما بلغَ الحاديةَ عشرةَ من عمرِه، لكنَّه عندما رأى أولَ عصفورٍ صغيرٍ وقـعَ على الأرض، إثرَ إصـابتِه بالطّلق النّاريِّ المندفعِ مـن بندقيَّة والدِه، رمَى البندقيّةَ الجديدةَ، بحدّةٍ، على الأرض، وقال لوالده بغضبٍ وحَنق[3]:

- لـن أكونَ صـيّادًا فـي حياتي أبـدًا، ولن أقتلَ هـذه المخلوقـاتِ الجميلةَ المُسالمةَ في يومٍ من الأيام، لن أفعلَ ذلك إطلاقًا.

ضـحكَ والدُه من ردّةِ فعلِه التي اعتبرَها صِـبيانيّةً، تنمّ عن جهل صـبيانيّ وعدمِ درايةٍ[4] بحقائق الأمور، وردّ عليه بسخرية حقيقيّة:

- الحياة عبارةٌ عن صـيدٍ متواصـلٍ أيّها الفَتى، وأنت ما زلتَ غشـيمًا[5] لا تدركُ شيئًا منها، وستغيّر رأيكَ، فيما بعدُ، لا مَحالةَ[6].

- لن أصطادَ في حياتي أبدًا، أقسم بذلك.

1. جمّ: كثير
2. القصيّة: البعيدة
3. الحنق: الغضب الشديد
4. درايةٍ: معرفة
5. غشيماً: بمعنى جاهلا
6. لا محالة: بمعنى حتمًا

أكّد مجدّدًا، والدّموعُ تلتمعُ في عينيه، وهو يراقبُ العصفورَ الصّغيرَ الذي أفسدَ جمالَ ريشِه طَلقُ والدِه الناريُّ، وقد بدتِ الدّماءُ منسابةً من صدره الصّغير، ومن جانبِ فمه المفتوح بنعومة آلمته!

يذكرُ إبراهيم أنه لم يَنمْ جيّدًا في تلك الليلة، وحلمَ أكثرَ من مرّة بعصافيرَ وطيورٍ متنوعةِ الأشكالِ والأحجام، بعضُها كان يحلّقُ منطلقًا مغرِّدًا، وبعضها الآخر كان مَلقيًّا بإهمالٍ على التّراب، ونِثارُ[1] دماءٍ قد افترشت المكانَ حولها.

– سأريكَ المكانَ، ثمّة نبعٌ هناك، هيّا بنا.

1. نِثارُ: من نثر بمعنى فرّق وبعثر

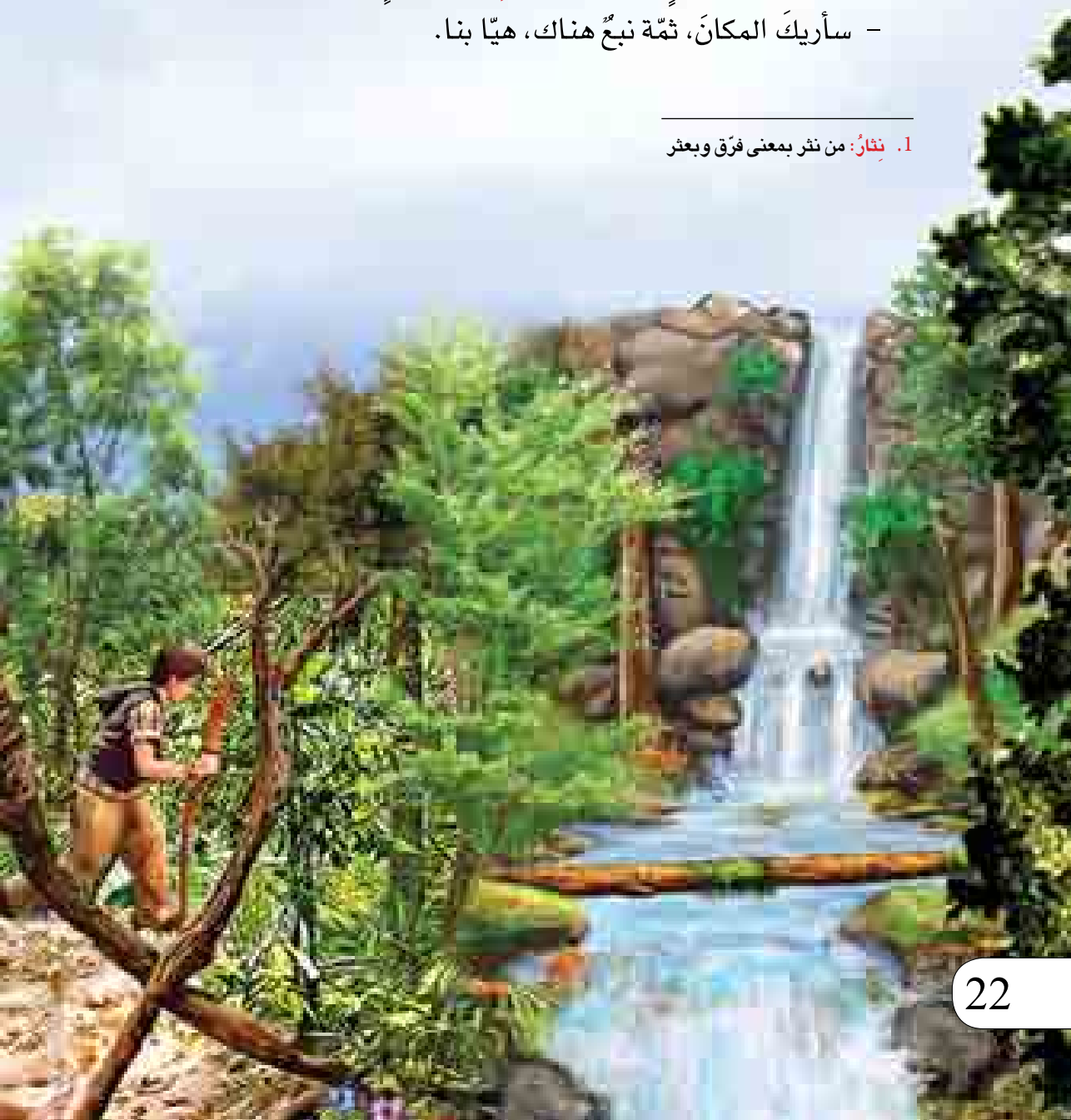

انطلقا إلـى النّبع المتدفّق، نظرَا إلى فوق. التمعـتْ أمامَهما المياهُ جذّابةً، وهي تنسابُ من الأعالي، حيثُ لا يصل بصرَاهما الشّاخصان[1].

- لابدّ أن النّبع الحقيقيَّ بعيد.

قـال إبراهيم متكهّنًا[2]، لكن غدي لم يُجب، كان يلهثُ ككلبٍ، جرّاء الجُهد الذي بَذَله، ولم يزلْ يبذلُهُ حتى يتمكّن من مُوازاة صديقه الرّشيق الخطوات.

شعرَ بالغضب من سُـمنَتِه[3]، ولأول مرّة حسدَ إبراهيم على هزاله ونُحولِه الذي طالما عَيّره[4] به أمام سائر الأصدقاء.

---

1. الشّاخصان: المحدّقان والمتطلعان بدقة
2. متكهّنًا: حاول معرفة حقيقته وتوقعها
3. سُمنَته: الوزن الزائد
4. عيّره: حاول الانتقاصَ منه

بعد أقلّ من نصف ساعة اقتربا من بلوغِ قمّة التلة، فتوقّفا صامتَين حينًا من الزمن.

ذُهلَ[1] غدي من المشهد الذي رآه للمرّة الأولى أمامه. الخضرةُ تحوطُ المكان، العشبُ طويلٌ، نديٌّ، وهشّ، متكاثفٌ، ومتنوّع الأشكال والألوان.

خبطَه[2] إبراهيم على كتفه ساخرًا من دهشته، فلطالما دعاه سابقًا إلى مرافقته إلى أحضانِ الطّبيعة، إلا أنّه كان يرفض بإصرارٍ، مُفضِّلًا استغلالَ أوقاتِ الفراغِ التي يلتقيان، خلالَها، بممارسةِ الألعاب الإلكترونيّة المتنوّعة، والتي لم يكن غدي ليسأمَ[3] منها أبدًا.

فهو كان يمارس الألعابَ الإلكترونيّة بحماسةٍ فائقة، وبشهيّة مفتوحةٍ دومًا عليها، وعلى أنواع السّكاكر المختلفة، التي يترافق التهامُها مع تفاقمِ[4] حماسته، ومع ازدياد سمنته.

أمسكَ بيد صديقه بودّ قائلًا له:

– هيّا بنا، سنصعد الآنَ ببطء، انتبهْ لمواضعِ قدمِك، الحشيشُ رطبٌ وهشّ هنا، سيدفعُك إلى الانزلاق بسهولةٍ فائقة.

تسلّقا بهدوءٍ وأناة[5].

كان إبراهيم يتلمّس موطئَ[6] قدمِه، قبل أن يثّبتها كما تعلّم من أبيه، عندما كان يرافقُه إلى مناطقِ الصّيد المتنوّعة التي يرتادانها مع مجموعة من أصدقاء أبيه.

ثمّة عصافيرُ، تحوّم في المكان، ونَحْلٌ يتطاير مُصدرًا طنينًا متواصلًا.

بدا غدي مندهشًا من كلّ شيء، وأعلنَ عن شعوره ذاك غيَر مرّة.

استمرّا بالتقدّم صُعودًا، إلى أن راحت الأرضُ تستوي[7] تحت أقدامهما.

فجأة وجدَا منبسطًا شبه دائري:

1. ذهل: اندهش بشدة
2. خبطه: ضربه خفيفًا
3. ليسأم: ليملّ ويضجر
4. تفاقم: ازدياد
5. أناة: تمهّل
6. موطئ: حيث يطأ أي يدوس
7. تستوي: تصبح سوية مستقيمة

- هذه هي القمّةُ - أعلنَ إبراهيمُ بفرح - انظر إلى هذه السّاحةِ الواسعة المسطّحة والمستوية، أليست مذهلة؟!

مكانٌ رائعُ الخُضرة، جميلُ الاستواء، وكأنَّ يدَ فنّانٍ قد نسّقتْهُ على هذه الشّاكلة البَهيّة، خاطبَ غدي نفسه مندهشًا.

خيّل إلى إبراهيم أنّه سمعَ صوتًا مخنوقًا خفيفًا، بمجرَّد وصوله، إلى الناحية.

تطلّع إلى صديقه، فأسعدَه وجهُه. ظهرَ مُبتهجًا بالفعل، وكانت المرّة الثّالثة الّتي يُعلن فيها مُستحسنًا:

- إنه مكانٌ ساحرٌ بحقّ، يا اللّه، إنّه الجنّةُ على هذه الأرض!

ثمّ أطلقَ صرخةً مُدوّية[1] تعلنُ عن فرحه.

فاجأتِ الصّرخةُ إبراهيم، وتنبّه كلاهما إلى تردّد صَداها[2] أكثر من مرة.

أسعدَهما الأمرُ تمامًا، فراحا يُطلقان الصّرخات متواليةً، والصّدى يتردّد بلا انتهاء، ينطلقُ من أعلى التلّة، ثم ينزلقُ إلى أقصى الوادي المقابل، لينفجرَ بعد ذلك، ويتشظّى[3] في الأجواء.

ضحكا كثيرًا ثمّ هدآ، وتنبّها إلى الصّخب الذي أحدثاهُ بمجّرد أن وطِئت أقدامُهما المكان.

خفَّ الضّجيج، فسمعَ إبراهيمُ الصّوت المخنوقَ مجدَّدًا.

استيقظت حواسُّه بشدّة، وطلبَ من غدي الذي كان قد نسيَ تعبَه بالمرّة، فانصرفَ يتمرّغُ على العشب الأخضر الطّري كالعنزَة، واصفًا إيّاه - أي العشب - بالسّرير الطّبيعيِّ الفاخرِ. طلب منه إبراهيم أن يصمتَ تمامًا، أن يخرسَ بالأحرى!

صمتَ غدي بعد أن حاولَ الاعتراضَ بدايةً على صيغة الأمر ولهجتِه، لكنه تنبّه إلى تَحفّزِ[4] إبراهيم الحقيقيّ، وربّما سمعَ للمرّة الأولى ما سمعَه إبراهيم، من صوتٍ مخنوقٍ خفيض؛ صوتٍ بدا وكأنه يستنجدُ[5] من شيء ما.

---

1. مدوّية: من فعل دوّى بمعنى سُمعَ لها صوت
2. صداها: الصّدى هو رجعُ الصّوت
3. يتشظى: يتطاير شظايا أي قطعًا صغيرة، نثارًا
4. تحفُّز: من تحفَّزَ أي تنبّهت حواسّه
5. يستنجد: يطلب نجدةً وخلاصًا

أرهفا سمعَهما جيِّدًا، وقد اعترتهما رجفةٌ حقيقيّة، لم يكن إبراهيم يتوهّم إذًا، مَنْ سواهما على هذه التّلّة في هذه اللّحظة يا تُرى؟

راحا يتقدّمان إلى وسطِ الدّائرة الخضراء، يبدو وكأنّ حفرة ما تتوسّطُها.

صارا يقتربان بحذرٍ كليٍّ، ظهر لهما بوضوحٍ الآنَ النّبعُ الحقيقيُّ، أي مصدر التّدفقِ الأساسيِّ الذي تنسلّ[1] منه المياه.

راقبا السّاقيةَ الجانبيّةَ التي غطتها الأعشابُ، واكتشفا سرّ النّداوة[2] البهيّة التي تتمتّعُ بها كلُّ أنواعِ النّباتاتِ المحيطةِ بمَسَارها، وهي تنقل مياه النبع، مشكّلةً ما يشبه الشّلاَلَ الصّغيرَ، يتدفّقُ بنعومةٍ وثباتٍ تحت الحشائش المُتلاقية الأغصان.

كلما اقتربا من قُطر الدائرة الصَّغيرِ، كان الصّوت الخافتُ يزدادُ وضوحًا وثباتًا، صوتٌ ناعمٌ مخنوق. داخلَهما الخوفُ مجددًا.

خطواتٌ قليلة خطَوَاها.

تقدما أكثر فإذا بهما يطّلانِ، على فتحة النّبع.

– يا إلهي، إنّه كلب العجوز، ماذا يفعلُ هذا الصّغيرُ في هذه المياهِ البعيدة عن الديار؟

ذُهل[3] إبراهيم، لم يتخيّلْ حدوثَ مثل هذا الأمرِ إطلاقًا.

كان الكلبُ الصّغيرُ ملتصقًا بالجدار الصّخريّ من ناحية اليسار، ظهرَ وكأنه عالقٌ بشيء ما.

خفقَ قلبُ إبراهيم، وهو يجدُ هذا المخلوقَ البريءَ ينظرُ إليه بلهفةٍ واستكانة، وكأنّه يطالبُه بإنقاذه من ورطته!

نظرَ بسرعةٍ إلى الدّرجاتِ الصّخريةِ الوطيئة[4]، وجدها تؤدّي إلى ما يشبه البسطة الصّغيرة قبل فتحة المياه. بدت لهُ مكسوّةً[5] بطبقة كثيفة من عشب

1. تنسلّ: تنساب بخفّة
2. النّداوة: الندي : الطّري ترشح أطرافه ماء وحيوية
3. ذُهل: أصابته دهشة
4. الوطيئة: المنخفضة المستوى
5. مكسوة: مغطاة

قصيرٍ زَاهِي الخضرة، سيتذّكرُ ما قاله له أبوه يومًا عنه:

- إنها الطّحالبُ، تنبّه تمامًا إذا اضطررتَ يومًا للسّيرِ عليها.

مخمليّةُ المشهدِ، لكنها زلِقة وخطرةٌ للغاية، عليه أن يحذرَ حين يدوسُ عليها.

راح ينقـل خطواتِه بحذرٍ بالغ، والحيوانُ المسـكينُ ينظرُهُ بلهفةٍ فائقة، وقد تشجّع فصارَ ينبحُ بحماسةٍ، لكنّ بألمٍ واضح.

وقـف غدي علـى الحافة العليـا ينظر، بخـوفٍ، إلـى إبراهيم الذي سـلك الدّرجتين الأوليين نزولًا، وصار الآن على البسطة الصّخريّة الزّلقة.

وجدَ إبراهيم نفسَـه أمامَ فتحةٍ دائريّةٍ كبيرة مملوءةٍ بالمياه الغامقة اللّونِ، زيتيّة رصاصيّة ربّما.

سـمعَ تدفّقًا أبهجَهُ[1]، لاحق ببصـره يد صـديقه الَّتي أشـارت إلى الزّاوية اليُمنى، إلى حيثُ تندفعُ المياهُ من تحتِ حافّةٍ صـخريّةٍ مسـنّنة؛ تتدافعُ المياهُ رُزمًا رزمًا بيضاءَ فوّارة:

- هذا هو النّبعُ الحقيقيُّ إذًا.

قال غدي بحماسةٍ، لكنه عقّب:

- انتبهْ ابراهيم أرجوكَ، هيّا خلّص هذا الجَرْوَ[2]،

1. أبهجه: أسعده
2. الجرو: الكلب الصغير

ولننطلقْ سريعًا ، الشّمسُ توشكُ أن تغيب.

التفت بكلّيّته إلى المخلوقِ اللّطيف، كان الجروُ يئنّ باستكانةٍ عجيبة، مدّ يده وشـدَّ جسـدَه المبتلَّ، أذهلته برودةُ المياهِ، وأحسَّ كأنّ الصّـغيرَ عالقٌ. مدّ يدَه الأخرى مُبعدًا عن جسده حشائشَ متبدّية[1].

هالَهُ أنَّ ما يشـبهُ القِندول[2] البريّ قد التصـق بجسـم الصغير، راح يبعد الأشواك بأناةٍ وحرص فائقين، والكلب المسكينُ يئنّ ويتوجع حتى كاد إبراهيمُ يلمحُ الدَّموع تنسابُ من عينيه.

بدا إبراهيم شديدَ الحرصِ، ويتصرّفُ بحكمةٍ عالية، فَعلى رغم الدِّماء التي انسـابت من فخذِ الجرو الطّري، إلاّ أنّه منعَ نفسَه من التأثّر والضّعف، أراد أن يخلّصَه بحقّ، ولا وقتَ للضّعف في هذه اللّحظة بالذّات، هكذا حدّثَ نفسَه.

شـعرَ أنّه يخوضُ معركةً حقيقيّة معَ هذه الأشـواكِ اللّعينة الشقيّة، ألم تجدْ ألطفَ من هذا المخلوقِ العاجزِ تتعلّق به، وتفسدُ عليه جسَده الهزيل؟

كتـمَ[3] غضـبه رغـم عنف هـذا الأخير؛ غضـبٌ شـديدٌ مكتومٌ كَيـوم رأى العصـفورَ المقتولَ بطلقةِ بندقيّةِ أبيهِ، لكنه تصـرّف كشابٍّ عاقلٍ صبور، حتّى تمكّنَ من انتزاعِ الشّوكةِ الأخيرةِ من الجسم الجريح.

سحبَ الجروَ دفعةً واحدةً من المياهِ بعد أن حرّر كاملَ جسده.

شـعرَ لوهلةٍ أنّه انتصـرَ انتصـارًا حقيقيًّا، وإذا بالجروِ يتمسّحُ بصدرِه وهو يرتجفُ بعنفٍ، عندَها فقط سمحَ لدموعِه أن تنسابَ بخفّةٍ من عينيه.

ضـمَه برفقٍ بين ذراعيه، وهو يربّت بحُنوٍ[4] بالغٍ عليه، ثمّ تراجع عن المياهِ التي بدت لهُ الآنَ سوداءَ مخيفة الأعماق.

---

1. متبدية: ظاهرة
2. القندول: نوع من النباتات البرية ذات أشواك قصيرة وحادّة قاسية
3. كتم غضبه: حبسه وأخفاهُ
4. بحنو: بحنان

سارَ بانتباهٍ شديدٍ، وكأنه يحمل كنزًا حقيقيًّا، ارتقى الدّرجتَين الصّخريّتَين بحـذر، ثم اندفعَ إلى خارجِ الفتحة، إلى حيثُ، وقـفَ غدي متحفّزًا تمامًا مادًّا ذراعيه ليتلقّف[1] منه الجرو الجريح، لكنّ إبراهيم ظلَّ متمسكًا به غامرًا إياهُ بحنانِ جَمّ عساه يشعرُ بدفءٍ يوقف ارتجافَه، ويُبعد عنه إحساسَه بالخوف.

الشّـمس توشـكُ على السّـقوطِ فـي البحر، والظّـلام يبثّ إشـاراتِه في كلّ الأنحاء.

داخلَ الفتَيينِ إحسـاسٌ بوحشةٍ ما، فأسـرعا بالهبوط، بَدوَا كثيرَي الخَشية على الحِمل الثّمين الذي بين أيديهما.

شَـعَرا أنّ طريق العودة أسـهلُ وأسـرعُ، ربما لأنّهما كانا يَعدوان دون شـعورٍ بذلك.

استغرقتْ رحلةُ العودةِ حوالي السّاعةِ فقط.

وجـدَا نفسـيهما بعد ذلـك، ودون أن ينبسَـا[2] بحرفٍ، واقفيـن أمام بيتِ العجوز الذي غادراه، قبل حينٍ من زمنٍ، راكضَين.

تقدّم إبراهيم صـديقَه بشـجاعةٍ، فوقفَ أمامَه قبالةَ البابِ الخشبيّ. لمحَه العجوزُ من خلال فتحةِ الباب، يبدو أنّه كان لايزالُ يترقّب عودة كلبه الصّغير، فتركه مُواربًا، ولم يغلقه رغم حلول المساء، عساهُ يعود.

اقترب سـريعًا بمجرَّد أن لمحهما، وبحنقٍ كبير فتـح الباب تمامًا، غمرَهما ضوءٌ خافتٌ، بدّدَ الظّلام الذي كان يلفّ شبحيهما من بعيد، ارتمى الضّوء على وجهيهما، وكأنه يريد حمايتهما من غضب الرّجل الحانق.

استقبلهما الجارُ بفتحِ فمه صارخًا، وقد رفع يده إلى الأعلى يريد إخافتهما، وصوتُه يلعلع:

– أنتما مُجدَّدًا، يا لكما من شابيَّن أرعنَين لا تخجلان من إزعاجِ شيخوختي وشيخوخة امرأتي حتى بعد حلولِ المساء.

---

1. ليتلقّف: يتلقى ويلتقط
2. ينبسا: ينطقا

من قالَ إنّ الحيواناتِ لا تعقلُ ولا تفقهُ الأمور؟

وكأنّ الكلب الصَّـغير أرادَ أن يدافعَ، عن صـديقه الجديد الذي خلّصه، من موتٍ محتّم، وأن يهدّئ في الوقت عينه من غضـب صديقه القديم، فرفع رأسَه المَدفون في سُترة إبراهيم الرّياضيّة مُهمْهِمًا[1].

1. مهمهماً: مطلقًا أصواتًا مبهمة غير مفهومة

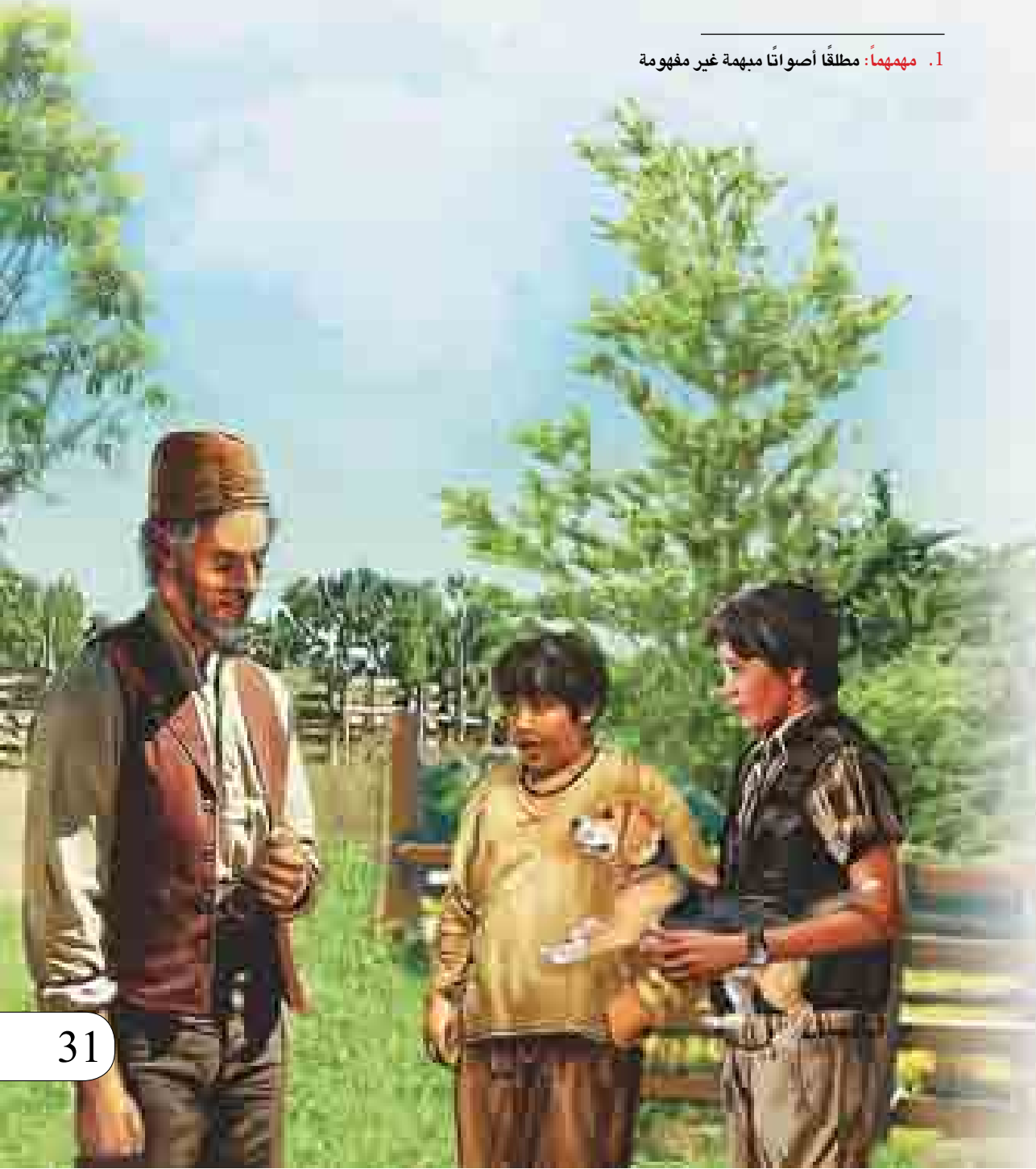

كانت أمّ إبراهيم تصـرّ، على ارتدائه دائمًا، أكثرَ من قطعتين، من الثّياب، لئلا يُصابَ وحيدُها الحبيبُ ببردٍ مفاجئ، لا يدري هو من أين سيقتحمُ جسدَه على حين غرّة، كما تتوجّسُ دومًا!

وكأنَّ البردَ سيتركُ كلّ أبناءِ الأرض، وسيلاحقُهُ هو فقط بمجرّد أن يلمحَه، كان يردُّ عليها محاولًا إغاظتها.

وقـد خاضَـن الفتى مع والدتِه نقاشـاتٍ كثيـرةً، حولَ هذا الموضـوع، انتهتْ بانتصـارِها السّـاحقِ عليـه، وباعتيـادِه ارتداءَ مثلِ هـذه السّـترة، كلما غادر المنزل، في صباح أو مساء.

والحقُّ يُقالُ إنّه وجدَها نافعةً للغاية، عصرَ هذا النّهار، فقد جعل منها غطاءً وثيرًا أعادَ الحرارةَ إلى جسدِ الكلب الصّغير.

المهمّ، بمجرّد أنْ سـمعَ ذاك المخلوقُ المسكينُ صراخَ سيّده رفعَ رأسَه من داخل الغطاء، وأطلقَ همهمةً مسـتكينةً خافتة مُعترضـة، فتنبّه العجوزُ عندَها إلى ما يحملُه الفتى بينَ ذِراعَيْهِ، وانفجرتِ الدّهشةُ صاعقةً في عينيه.

حاولَ أن يسـتفهم، لكنّ إبراهيم هوّنَ عليه مشـقّة الـكلام قائلًا له بلطافةٍ وأدبٍ جمّ:

– لقد وجدنا، سـيدي، كلبكَ الصّـغير هذا عالقًا، في النّبع الرّئيسي، عند أعلى التّلة، أحمدُ اللّه لأنّنا تمكنّا من إنقاذِه في اللّحظة الحَرِجة.

كان عالقًا هناك، لا أدري كيف انزلق إلى تلك المياه الباردة، أعتقد أنه الآن أفضل، لا بدّ أنه جائع، وبحاجةٍ إلى مزيد من الدفء. تصبحُ على خيرٍ، وعفوًا على الإزعاج.

عقدتِ الدّهشةُ لسانَ العجوز، بدا فرحُهُ بعودةِ كلبِه الصّغير أهمَّ من أيّ أمرٍ آخرَ، أهمّ من عتاب الفتيينِ، ومن معرفة كلّ تفاصيل العثور على كلبه الضّائع ؛ أهمّ من استكمالِ موجةِ الغضب لفِرارهما من أمامِه عصرَ ذاك النّهار.

كان فرحُهُ بعودةِ صغيرِه أعظمَ من كلِّ عتاب!

عندما عاد إبراهيم إلى منزله، وقفت أمّه غاضبةً قليلًا، لأنه تأخّر بالعودة، ولم يخبرها بسبب غيابه من ناحية، ولعدمِ استجابته لنداءاتها المتكرّرة من ناحية أخرى:

- فقد بقيتُ أنادي، وأهتفُ باسمك حتى أوّل اللّيل.

ضحك إبراهيم، وقال لها بعتابٍ لطيف :

- لقد تمشَّيتُ باتّجاه التّلال أنا وصديقي غدي، أردتُ أن أعرّفه قليلًا على الغابةِ الجميلة، وأن أدفعَه إلى ممارسة رياضة المشي معي، فذاك أفضلُ مائة مرّةٍ من جلوسِه طَوال الوقت أمام شاشةِ الحاسوب، ألا تجدينني محقًّا يا أمي ؟

اكتفت والدته ليلى بالابتسام.

فضّلت عدم مناقشته، فهي لا تريدُ إحراجه، وتنفرُ من الإصرار على موضوع الدّرس أمامَ الآخرين كي لا تُتَّهم بضيقِ الأفق، ففي الحياة متعٌ أخرى، كما أكّد لها إبراهيم يومًا، وهما يتحادثان بصفاءٍ، لقد صار وحيدُها الصّغير شابًّا حقيقيًّا أو هو مشروع شابّ واعدٍ، وعليها هي أن تحترمَ رغباته، فتتركَه يصرّفُ شؤونه، كما نصحها بذلك زوجُها الحبيبُ. حدّثت قلبَها بصمت وهي تشعرُ برضا خفيّ.

صباحَ اليوم التّالي، استيقظ إبراهيم ممتلئًا حماسةً وخفّة، فهو يريدُ الإسراعَ في الوصول إلى المدرسة باكرًا.

سيخبرُ نيفين بكلِّ تفاصيل مغامرتِه مساء البارحة.

لا بدَّ أن يسابقَ غدي إلى الكلام، فذاك الآخر ثرثارٌ كبيرٌ، لا يتقنُ الاحتفاظَ بأي سرّ عادةً، وسيفسدُ عليه رؤيةَ الفرحة والدّهشة في عينيّ نيفين، وهي تصغي إلى أخبارِ شجاعته، وشهامته وفرحِه لإنقاذه مخلوقًا عاجزًا وجميلًا، أعاده في نهاية النّهار إلى صاحبِه القلِق عليه.

ارتدى ملابسَهُ بسرورٍ خفي لا يدري مبعثه.

غسلَ وجهَه، وتناول فطورًا خفيفًا، ثمّ نظّف أسنانَه كما تُوصيه والدتُه المهووسةُ بالنّظافة، مذ كان طفلًا لم تنبت له أسنانٌ بعد!

قبّل والدته بحبّ حقيقي.

وضع الحقيبةَ على ظهرِه مُمسكًا حزامه الجلديّ بيده اليسرى. امتدّت يدُه اليُمنى لتفتحَ البابَ الخارجيَّ الكبير.

فوجئ بسلّةٍ من قشّ قد وضعت في منتصف الطريق تمامًا، تعترضُ سبيلَ كلّ من يحاولُ الخروجَ من المنزل، تعمّدَ مَنْ وضعَها فِعلَ ذلك.

كانت السّلةُ حافلةً بأنواعٍ مختلفةٍ ، من الخُضَرِ الطّازجة التي يزرعها العجوز عادةً في أرضه، وقد بدت حبّاتُ الخِيار أكثرَها عددًا ونضارةً وزهوًا.

فوجئ إبراهيم، لكنه فرِحَ للغاية، فتناولَ خيارةً واحدة منها، مسحَها سريعًا بكمّ سترتِه الرّياضيَّة، ثمّ قضمَ[1] منها قضمة كبيرة، فتصاعدتْ منها رائحةُ الخيار البلديّ الشّهيّة.

العصافيرُ الّتي يعشقها تقفُ، على عشبٍ قريبٍ من السّلة، تكركُ بطمأنينةٍ بالغةٍ إذ تنظرُ إليه، فهو صديقُها الذي يُناغيها دائمًا حين يجاورها على الأغصان.

قلبه يضجُّ فرَحًا، إذ يلمحُها في هذا الصباح البهيج.

---

1. قضم: قطع قطعة بأسنانه

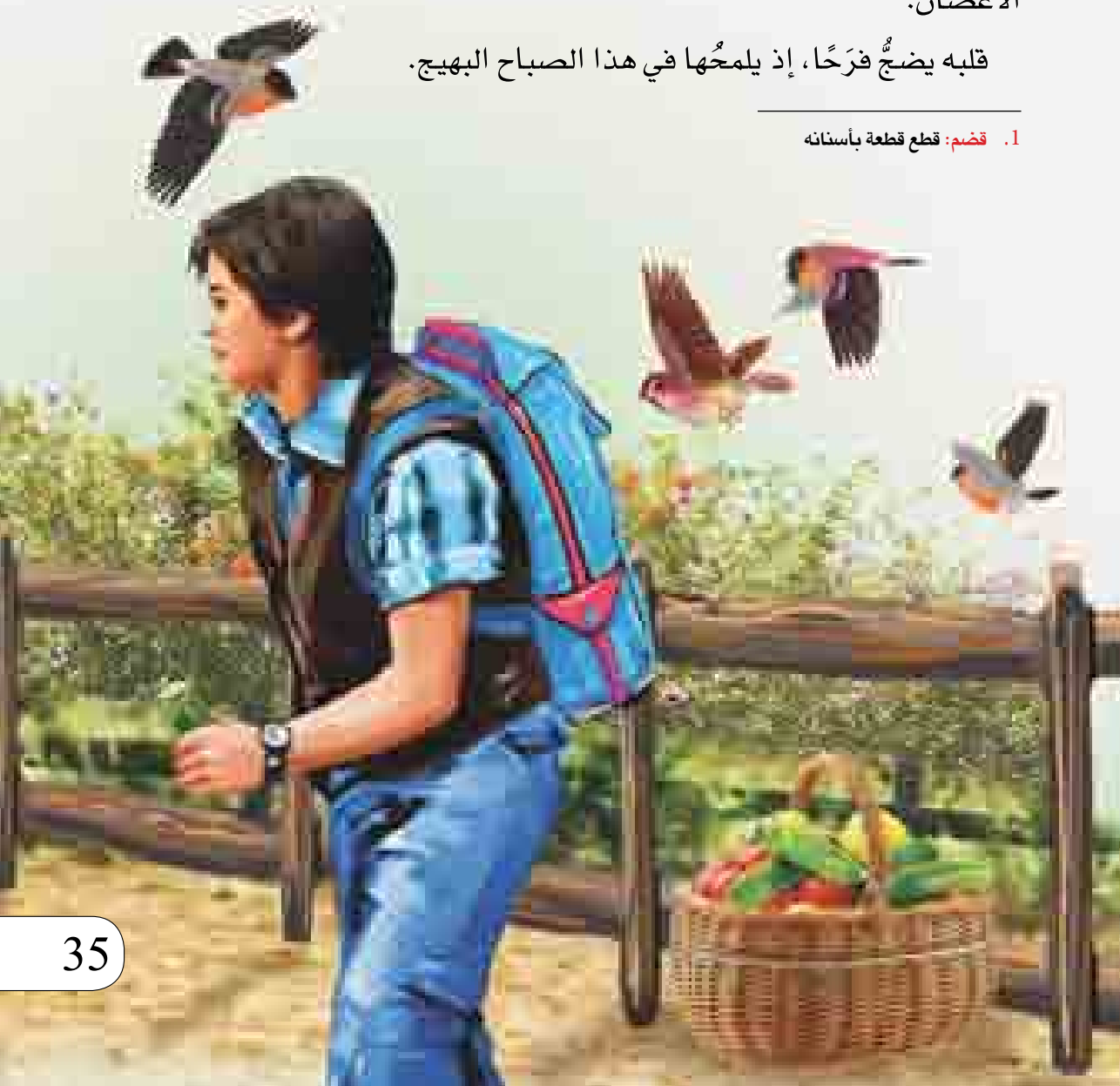

ضحكَ بسعادةٍ، ثمّ التفتَ باتّجاه بيتِ العجوز.

كان الرّجلُ يقفُ منتصبَ القامة هناك.

إلى جوارِه، وقفَ كلبه اللّطيف الحيويّ.

كلبٌ وَدود[1] ينتصبُ بنشاطٍ، إلى جوار سيّده، متراقصًا حوله، محرّكًا ذيلَه القصيرَ ذاتَ اليمين وذات الشّمال. لقد استعادَ عافيتَه بسرعة، قال الفتى في أعماق نفسه: الحبُّ وصفةٌ سحريّةٌ للغاية!

لوّحَ إبراهيمُ بيدِه للعجوزِ ملقيًا عليه تحيّةَ الصباح، فردّ ذاك الأخيرُ بعباراتٍ شجيّة مبتسمًا بحماسةٍ وبحبٍّ واضحَين، لكنّما صوتُه ضاعَ وارتبكتْ[2] كلماتُه، بعد أن اختلط بنباح ذاك الكلبِ الصّغير الشقي الذي راح يُصدرُ أصواتًا فرحةً سعيدة، تشبه عباراتِ شكرٍ وامتنانٍ، يُرسلها إلى إبراهيمَ، صديقِهِ الجديدِ، في ذلكَ الصّباحِ الجميل.

تمّت

---

1. ودود: مُحبّ
2. ارتبكتْ: اضطربت

أَسْئِلَةٌ فِي الْقِرَاءَةِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّعْبِيرِ:

1. طَرَأَ تَغَيُّرٌ وَاضِحٌ، عَلَى سُلُوكِ إِبْرَاهِيمَ، فِي مَرْحَلَةٍ عُمُرِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. كَيْفَ تَجَلَّتْ هَذِهِ التَّغَيُّرَاتُ، وَمَا كَانَتْ رَدَّةُ فِعْلِ وَالِدَتِهِ حِيَالَهَا؟

2. مَا اسْمُ صَدِيقِ إِبْرَاهِيمَ الْحَمِيمِ؟ مِمَّ كَانَ يَشْكُو؟

3. مَا الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ يَنْتَقِدُهُ إِبْرَاهِيمُ فِي سُلُوكِيَّاتِ غدي؟ حَدِّدْ إِجَابَتَكَ مُسْتَخْدِمًا شَاهِدَيْنِ مِنَ الْقِصَّةِ.

4. هَلْ تُوَافِقُهُ عَلَى طَرِيقَةِ تَفْكِيرِهِ تِلْكَ؟ وَأَنْتَ، هَلْ تُشْبِهُ إِبْرَاهِيمَ أَوْ غدِيًّا مِنْ نَاحِيَةِ أُسْلُوبِ الْحَيَاةِ؟ أَوْضِحْ إِجَابَتَكَ، فِي فِقْرَةٍ مُتَمَاسِكَةٍ، مِنْ إِنْشَائِكَ.

5. مَا الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ يَشْغَلُ بَالَ الْعَجُوزِ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ؟

6. يَلْجَأُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الطَّبِيعَةِ، كُلَّمَا انْزَعَجَ مِنْ أَمْرٍ مَا. إِلَى مَنْ تَلْجَأُ أَنْتَ فِي حَالِ انْزِعَاجِكَ؟

7. يَكْشِفُ اهْتِمَامُ إِبْرَاهِيمَ، بِكَلْبِ الْعَجُوزِ عَنْ "نَزْعَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ عَالِيَةٍ". أَوْضِحْ ذَلِكَ، مِنْ خِلَالِ مَا قَرَأْتَهُ، مُسْتَخْدِمًا شَوَاهِدَ تُؤَكِّدُ إِجَابَتَكَ.

_____

_____

8. تَذَكَّرْ ثُمَّ أَجِبْ:

- كَمْ يَبْلُغُ عُمُرُ الْجَارِ الْعَجُوزِ؟ _____
- كَمْ لَدَيْهِ مِنَ الْأَبْنَاءِ؟ _____
- مَا الثِّمَارُ الَّتِي كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَخْتَلِسُهَا مِنْ حَدِيقَتِهِ؟ _____
- كَمْ مِنَ السَّاعَاتِ يُمْضِي غدي أَمَامَ الْحَاسُوبِ، وَهُوَ يُمَارِسُ أَلْعَابَهُ الْإِلِكْتُرُونِيَّةَ؟ _____
- كَمِ اسْتَغْرَقَتْ نُزْهَةُ إِبْرَاهِيمَ وَعُدَيٍّ إِلَى الْغَابَةِ؟ _____

9. اسْتَخْرِجْ مِنَ الْقِصَّةِ:

- نَعْتًا وَمَنْعُوتًا. _____
- مَفْعُولًا بِهِ. _____
- مُبْتَدَأً وَخَبَرًا. _____
- فَاعِلًا ظَاهِرًا. _____
- فَاعِلًا مُسْتَتِرًا. _____
- جَمْعَ مُذَكَّرٍ سَالِمًا. _____
- حَالًا مَنْصُوبَةً. _____
- اسْمًا مُثَنًّى. _____

10. اسْتَخْرِجْ مِنَ الْقِصَّةِ صُورَةً غَنِيَّةً جَمِيلَةً وَاشْرَحْهَا لَنَا: (تَشْبِيهًا – اسْتِعَارَةً).

11. حَوِّلْ مِنَ الْمُفْرَدِ، إِلَى الْمُثَنَّى، ثُمَّ إِلَى الْجَمْعِ الْعِبَارَاتِ الْوَارِدَةَ:

- مِنْ مَجْلِسِهِ السِّرِّيِّ، اعْتَادَ أَنْ يُرَاقِبَ جَارَهُ.
- انْزَلَقَ بِخِفَّةِ قِرْدٍ إِفْرِيقِيٍّ عَلَى جِذْعِ الشَّجَرَةِ.
- كَانَ قَدْ دَخَلَ مِنْطَقَةَ الْغَابَةِ الْكَثِيفَةِ.

12. فِي التَّعْبِيرِ:

كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ مُغَامَرَاتُهُ اللَّطِيفَةُ. اكْتُبْ فِي حُدُودِ 15 سَطْرًا مُغَامَرَةً شَيِّقَةً مِنْ مُغَامَرَاتِكَ الصَّيْفِيَّةِ الْجَمِيلَةِ.